

سفيراً إلى بلاط «أوزن حسن»: أمير آق قويونلوين - وقد تأثر عميقاً من السوابق التاريخية ل (آارات)، أنه يكتب «... تصل بعد ثلاثة أيام إلى القمة الجبلية الموسومة بـ «لورثو OEROL» ثم بعد ثلاثة أيام تصل إلى جبل استوت سفينة نوح عليه بعد الطوفان العظيم.

... هكذا مضيت ومضيت حتى وصلت في ٢٦ جونية إلى جبل نوح، وهو جبل رفيع شاهق، مستور طول أيام السنة من الثلج.

كان يقال كثيرون حاولوا الوصول إلى قمته، ففرقة منهم لم يرجعوا، ورجعت فرقة أخرى قائلة: لا سبيل للوصول إلى القمة^(١).

من ثم «جان باتيست تاورينه» الفرنسي، الذي سافر ستّ مرات إلى الشرق بين ١٦٣٢ - ١٦٦٨ م وزار إيران تسع مرات، وسفرته الأولى كانت زمن السلطان صفي خليفة السلطان عباس الصفوي.

يقول في كتابه حول (آارات) ومهبط سفينة نوح ﷺ: في خمسة ليوات - واحد المسافة آنذاك - يبتدء فاصل (إيروان) الجنوب الشرقي لجبل (آارات): آقري داغ، الذي صار شهرة الآفاق حيث استوت سفينة نوح عليه...

ففي اليوم الأول... والثاني يتبين جبل آارات: «آقري داغ» ناحية الجنوب، ويجنبه أديرة، والأرمن يسمون هذا الجبل (مزوشار) أي: الجبل الأبيض، وقد نزلت سفينة نوح عليه بعدما انطفى الطوفان، وهذا الجبل ينفرد عن سلسلة الجبال الأرمينية، وهو أرفع من هذه السلسلة تماماً.

ولما ينظر الأرمن إلى هذا الجبل من بعيد يسجدون ويقبلون الأرض، ثم ينظرون إلى السماء يدعون ويمسحون علامة الصليب على وجوههم.

(١) سفرنا مع ونيز ص ١٠٢، ترجمة الدكتور منوچهر أميری ١٣٤٩ هجرية شمسية.

ثم يستمر قائلاً: نخجوان هي حسب ما يعتقد الأرمين من أقدم البلاد في المعمورة، وهي واقعة بفاصل ثلاث ليوات من هذا الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح.

نخجوان - وهي لغة أرمينية - تعني مكان السفينة، فإن «نخ» هي السفينة، و«جوان» مهبط، فهي مهبط السفينة.

وتعتقد الأرمين أن نوحاً عليه السلام سكن هذه البلدة بعد الطوفان، ودفن فيها، ودفنت زوجته في بلدة «مرند» بممر «تبريز» - وهي طبعاً زوجته المؤمنة - ومن ثم (شواليه شاردن) العالم الفرنسي الذي سافر إلى إيران سنة ١٦٦٥ م، زار (آارات) وكتب عنه ما يلي:

منبع (أرس) جبل يقال أنه مهبط سفينة نوح، ولعل (أرس) مشتقة من (آارات).

ويقول: جملي كارري - الذي سافر إلى إيران زمن السلطان سليمان الصفوي: إن طبيباً هولندياً يعالج راهباً في دير قرب قلة آارات صعد إليها لمدة سبعة أيام، ينقل عن هذا الراهب: أن آثار سفينة نوح ظاهرة في منحدر الجبل، والأرمين يسمون هذا الجبل (میزه زوزار) أي: جبل السفن...»^(١).

وتقول «مادام ديولافوا» عن سفرتها سنة ١٨٨٢ م عابرة عن آارات: بناء على النقل التاريخي استوت سفينة نوح على قلة آارات، ولو أن جماعة صمموا على الصعود إلى هذه القلة - على صعوبته - لوجدوا سفينة نوح عليه، هذه السفينة التي يريها القسس بمنظارات قوية من دير بحيرة «سوانگاه» بقفقاز وعند ذلك سوف يتناسون كل صعوبات الطريق»^(٢).

(١) سفرنا مع جملي كارري ١٠ - ١١.

(٢) سفرنا مع مادام ديولافوا (٢٣ و ٢٥) المطبوعة بطهران ١٣٣٠ هجرية شمسية.

٥ - كم عاش نوح ﷺ؟:

إنه عاش رسولاً حسب النص ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(١) ولا تتحمل السنة ولا العام غير المعروف من حدهما الزمني، والقول: علّه أسبوع وما أشبه حيث المصطلح في قديم الزمن هو ذلك التقدير للعام والسنة، إنه غول، حيث القرآن لا يتبع غير المعروف من الصلاحيات المتعددة زمن نزوله، فلو كان السنة أسبوعاً وما أشبه في زمن قبل القرآن - ولا دليل عليه - لم يصح في بلاغة عادية - فضلاً عن القمة القرآنية - أن يستعمل في القرآن المخاطب - منذ نزوله إلى يوم الدين - من يفهمون من السنة ما يفهمون.

ذلك، وإذا كانت مدة رسالته ألف سنة إلا خمسين عاماً فعمره أكثر منها بقدر يصلح لحمل الرسالة فهو ألف أو يزيد^(٢)، وبذلك تثبت إمكانية هكذا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٢) بحار الأنوار ١١: ٢٨٥ - ٢ عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ قال: عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومأتا عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار واسكن ولده البلدان ثم إن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك فرد عليه نوح ﷺ وقال له: ما حاجتك يا ملك الموت؟ فقال: جئت لأقبض روحك، فقال له: تدعني أدخل من الشمس إلى الظل، فقال له: نعم، فتحول نوح ﷺ ثم قال: يا ملك الموت فكان ما مر بي في الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به فقبض روحه.

وفيه عنه ﷺ قال: عاش نوح بعد النزول من السفينة خمسين سنة ثم أتاه جبرئيل فقال يا نوح انه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك فانظر الاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة التي معك فادفعها إلى ابنك سام فإنني لا أترك الأرض إلا وفيها عالم يعرف به طاعتي ويكون نجاة فيما بين قبض النبي وبعث الآخر ولم أترك الناس بغير حجة وداع إلى وهاد إلى سبيلي وعارف بأمرني فإنني قد قضيت أن أجعل لكل قوم هادياً أهدي به السعداء ويكون حجة على الأشقياء، قال: فدفع نوح الاسم الأكبر وميراث العلم وأثار النبوة إلى ابنه سام فأما حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به، قال: وبشرهم نوح بهود ﷺ وأمرهم باتباعه =

تعمير واقعياً، فلا استبعاد إذا لطول عمر صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو أعظم من نوح عليه السلام محتداً، وأحصل حاصلًا من تأسيس دولته العالمية الكبرى.

٦ - وكم كان عدد الراكبين في السفينة؟:

إنهم مع نوح عليه السلام يقرب كونهم ثمانين لعديد من الأخبار في تعديديهم، والأخبار التي تحكي عن قرية الثمانين التي نزلوا فيها فسميت بما سميت لهؤلاء الثمانين ^(١).

٧ - وهل بقي شيء من الأرض عتيقاً من الغرق؟:

في روايات عدة أن البيت العتيق كان عتيقاً من الغرق ولذلك سمي عتيقاً ^(٢) وهذا يناسب محتد ذلك البيت العتيق عن أن يملك لأحد، والعتيق عن الإختصاص بأمة دون أمة، والعتيق القديم الذي لم يسبقه أي بيت ف ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٣).

= وأمرهم أن يفتحوا الوصية كل عام فينظروا فيها فيكون ذلك عيداً لهم كما أمرهم آدم عليه السلام . . .

أقول: قد اختلفت الأخبار والآراء حول عمر نوح عليه السلام بين ألف وأربعمئة وخمسين أو سبعين وألف وثلاثمئة وألفين وخمسمائة سنة، والخبر الأخير المقر حياته بعد النزول من السفينة خمسين هو في نقل آخر خمسمائة كما رواه الكافي عنه عليه السلام وكافة الروايات تقرر ألفين وخمسمائة.

(١) البحار ١١ : ٣٢٢ عن الهروي قال قال الرضا عليه السلام لما هبط نوح عليه السلام إلى الأرض كان هو وولده ومن تبعه ثمانين فبنى حيث نزل قرية فسمها قرية الثمانين لأنهم كانوا ثمانين، أقول: عليها قرية في لبنان. تسمى الآن تمنين وهي مخفقة «ثمانين» حيث يبدلون الثاء تاء وهي بجنوبي لبنان قرب عين قانا وجباع الحلاوة بلدة الشهيد الثاني وجماعة من العلماء العاملين المعروفين.

(٢) البحار ١١ : ٣٢٥ عن ذريح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى أغرق الأرض كلها يوم نوح عليه السلام إلا البيت فمن يومئذ سمي العتيق لأنه أعتق من الغرق، فقلت له: صعد إلى السماء؟ فقال: لم يصل الماء إليه وإنما رفع عنه.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

هذا، وقد جاءت قصة نوح هذه في التوراة في (١٢٨) آية بشاكل ناكل قاحل إلا في مقاطع توافق القرآن، يعرف المنافق منه عن الموافق بمقارنات نحولها إلى القارئ^(١)، وبيننا وبينكم علامات العجائب: -! - والحكم للعقلاء المشرعين بشرعة الله.

(١) ففي الإصحاح السادس من سفر التكوين: ١ «وحدث لما ابتدأ الناس يكنزون على الأرض وولد لهم بنات ٢ أن أبناء الله -!؛ رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ٣ فقال الرب لا يدين روعي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرون سنة. ٤ كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنوا الله -! على بنات الناس وولدت لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذووا اسم - ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وان كل تصور افكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. ٦ فحزن الرب -! - انه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه ٧ فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء! لأنني حزنت أني عملتهم. ٨ وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب.

٩ هذه مواليد نوح. كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله، ١٠ وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاماً ويافت ١١ وفسدت الأرض أمام الله وامتلات الأرض ظلماً. ١٢ ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت إذا كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض - ١٣ فقال الله لنوح نهاية: كل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض امتلات ظلماً منهم. ١٤ فيها أنا مهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك فلکاً من خشب جفر، تجعل الفلك مساكن، وتطليه من داخل ومن خارج بالقار ١٥ وهكذا تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه، ١٦ وتصنع كوة للفلك إلى حد ذراع من فوق. وتصنع باب الفلك في جانبه مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. ١٧ فيها أنا أت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت ١٨ ولكن أقيم عهدي معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك -! - ونساء بنيك معك. ١٩ ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقاءها معك تكون ذكراً وأنثى.

٢٠ من الطيور كأجناسها -! - ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تدخل إليك لاستبقاءها. ٢١ وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك. فيكون لك ولها طعاماً. ٢٢ ففعل نوح حسب ما أمره به الله. هكذا فعل.

وقال الرب لنوح (الإصحاح السابع من سفر التكوين) ١ أدخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأنني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجبل ٢ من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى -! - ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى.

فقد تعبر عن الذكور بأبناء الله! وأن الله حزن وتأسف في قلبه من خلق الناس! وأنه أدخل السفينة زوجته وأبناءه - وهي وولد له كافرين -! ثم ولا يذكر المؤمنين معه، وأدخل كذلك طيور السماء حيث الغرق يغرقها مع دواب الأرض، والطيور لا تغرق! ثم وبالنسبة للدواب والطيور قد تقول اثنين اثنين طاهرة ونجسة، وأخرى تختص الطاهرة بسبعة سبعة، وأنه لما صار الطوفان كان عمر نوح ستمائة سنة، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون!.

هذا، وقد جاءت في أخبار الأمم وأساطيرهم^(١) - كما في القرآن

= ٣ ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى -! - لاستبقاء نسل على وجه الأرض ٤ لأنني بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة -! - وامحوا عن وجه الأرض كلّ قائم عملته ٥ ففعل نوح حسب كلّ ما أمره به الرب .
٦ ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على وجه الأرض -! - ٧ فدخل نوح وبنوه -! - وامراته -! - ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان ٨ ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض ٩ دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحاً .
١٠ وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض ١١ في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كلّ ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء ١٢ وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة ١٣ في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك ١٤ وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الذبابات التي على الأرض كأجناسها وكل الطيور كأجناسها كلّ عصفور كلّ ذي جناح ١٥ ودخلت إلى نوح إلى الفلك إثنين إثنين من كلّ جسد فيه روح وحياة ١٦ والداخلات دخلت ذكراً وأنثى من كلّ ذي جسد كما أمره الله واغلق الرب عليه .

وفي الإصحاح الثامن ٤ واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال آراراط . . وهكذا تستمر إصحاح من التوراة في - ١٢٨ - آية في سرد قصة نوح بتكرارات وتضادات وتناقضات تؤكد مدى الدخيل فيها عن الأصيل! .

(١) ففي رواية الكلدانيين الذين وقع الطوفان مبدئياً في بلادهم، أن «برهوشع» و«يوسيفوس» روبا أن «زيرستروس» رأي في الحلم بعد موت والده «أوتيرت» أن المياه ستطغي وتطغى جميع =

والتوراة - أنباء الطوفان، مهما اختلفت كلها عن القرآن في ملبساته، مما يؤكد أصل الطوفان العام، وإن كان في نبي القرآن كفاية.



= البشر وأمره ببناء سفينة يعتصم فيها هو وأهل بيته وخاصة أصدقاءه ففعل، وهو يوافق سفر التكوين في أنه كان في الأرض جيل من الجبارين طغوا فيها وأكثروا الفساد فعاقبهم الله بالطوفان، وقد عثر بعض الإنجليز على ألواح من الآجر نقشت فيها هذه الرواية بالحروف المسمارية من كتابة قديمة من القرن السابع عشر قبل المسيح أو قبله فهي أقدم من سفر التكوين. وروى اليونان خبراً عن الطوفان أورده أفلاطون وهو أن كهنته المصريين قالوا لسولون الحكيم اليوناني: إن السماء أرسلت طوفاناً غير وجه الأرض فهلك البشر مراراً بطرق مختلفة فلم يبق للجيل الجديد شيء من آثار من قبله ومعارفهم.

وأورد «مانتيون» خبر طوفان حدث بعد هرمس الأول الذي كان بعد ميناس الأول - وهذا أيضاً أقدم من التوراة - وروى عن قدماء اليونان خبر طوفان أنه عم الأرض كلها إلا «دوكاليون» وامراته «بيرا» فقد نجوا.

وروي عن قدماء الفرس طوفان أغرق الله به الأرض بما انتشر فيها من الفساد والشور وبفعل أهريمان إله الشر، وقالوا: إن هذا الطوفان فار أولاً من تنور العجوز (زول كوفه) إذ كانت تخبر خبزها فيه، ولكن المجوس أنكروا عموم الطوفان وقالوا: إنه كان خاصاً بإقليم العراق وانتهى إلى حدود كردستان.

وهكذا قدماء الهند يثبتون وقوع الطوفان سبع مرات في شكل خرافي آخر. وفي أوستا - كتاب المجوس - أن أهورا مزدا أوحى إلى «إيما» وهو بزعمهم جمشيد الملك - أنه سيقع طوفان يغرق الأرض وأمره أن يبني حائطاً مرتفعاً غاية يحفظ من في داخله من الغرق وأن يجمع في داخله جماعة من الرجال والنساء صالحة للنسل ويدخل فيه من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين إثنين ويبني في داخل السور بيوتاً وقباباً في طبقات مختلفة يسكنها الناس المجتمعون هناك ويأوى إليها الدواب والطيور. . . وهكذا في تاريخ الأدب الهندي . . .

﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهِ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَوُونَ ﴿٥٥﴾ يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٦٠﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِّنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجِّنَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦٣﴾ وَتِلْكَ ءَعَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٤﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا ءَعَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْضًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٥﴾﴾

يذكر هود في القرآن كله سبع مرات في حين يذكر عاد وقومه أربع وعشرون مرة، وهم ﴿عَادًا الْأُولَى﴾^(١) وقد بشر به نوح عليه السلام من

(١) سورة النجم، الآية: ٥٠.

قبل^(١) وصيغة الدعوة الرسالية وصبغها هنا هي صبغتها وصبغتها في كافة الرسالات، فإنها رسالة موحدة يحملها رسل الله على مدار الزمن الرسالي مهما اختلفت فيها طقوس، حيث الأصل واحد هو الدعوة إلى توحيد الله وشرعته، وبراهين الرسالات هي الآيات الرسالية ومنها الرسل أنفسهم.

هنا هود يدعو عادة إلى توحيد العبادة ورفض الأنداد بـ ﴿إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ إذ أنتم معترفون بالإله الأصل ولا برهان لكم فيما تدعون فـ ﴿إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾.

ثم يزود دعوته التوحيدية التي هي مبرهنة بكافة البراهين الفطرية والعقلية والآفاقية، بأنها لا تدعو لسؤال أجر عليها ﴿إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وإياكم بالفطرة التوحيدية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ التوحيد الحق وحق التوحيد بقضية الفطرة وسائر الآيات الآفاقية والأنفسية المعسكرة لإثباته دونما أية ريبة؟! .

وتزويد ثان بإرسال السماء عليهم مدرارا وقد كانوا في جذب تلمح له :
﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) ، ثم وازدياد قوة إلى قوتهم مادية ومعنوية، مما يدل على أن
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) إذا

(١) بحار الأنوار ١١ : ٣٦٣ عن الصادق عليه السلام قال : لما حضرت نوحاً الوفاة دعا الشيعة فقال لهم : اعلّموا ستكون بعدي غيبة تظهر فيها الطواغيت وأن الله تعالى يفرج عنكم بالقائم من ولدي اسمه هو دله سمت وسكينة ووقار يشبهني في خلقي وخلقي وسيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالريح فلم يزالوا يترقبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره حتى طال عليهم الأمد فقسفت قلوب كثير منهم فأظهر الله تعالى ذكره نبيه هوداً عند اليأس منهم وتناهي البلاء بهم وأهلك الأعداء بالريح العقيم التي وصفها الله تعالى ذكره فقال : ﴿مَا نَذُرُ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ﴾ [الذاريات : ٤٢] ثم وقعت الغيبة به بعد ذلك إلى أن ظهر صالح عليه السلام .

(٢) سورة الأحقاف، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٩٦ .

﴿لَا نَتَوَلَّوْا﴾ عن الحق الناصع الناصح «مجرمين» ثمرات الحياة الإنسانية قبل إيناعها، والتوحيد الحق إيناع في أعلى القمم من الحيوية الإنسانية السامية.

ذلك، ولكن لا حياة لمن تنادي، حيث تغافلوا وتجاهلوا عن بينة التوحيد الرسولية والرسالية فانكروها فائنين قائلين: ﴿يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَيْنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

هنا ﴿مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ تعني آية بينة على الرسالة التوحيدية، والرسول بأنفسهم في قالاتهم وحالاتهم وفعاليتهم بينات ربانية وإن لم يأتوا بسائر البينات، وكما قال رسل المسيح عليه السلام جواباً عن شطحات المنكرين ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾^(١) توجيهاً وجيهاً لهم إلى التربية الرسالية الباهرة فيهم، الظاهرة في دعواتهم.

ثم ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَيْنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ إذ لا حجة فيه، وهم منكرون حجج الرسالات كلها، رامين إياها بالسحر والكهانة على طول الخط، مجتثين جذورها باستبعاد أو استحالة رسالة بشر إلى بشر، وما إلى ذلك من حجج داحضة في لجج من لججات.

ثم يلخصون قيلتهم هذه بـ ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ غضباً ناقماً عليك إذ ترفضهم ولا تفرضهم، وكأنه يؤمن بهم فيخالفهم في ألوهتهم، فـ ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾:

﴿أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ بما رباني بالدعوة التوحيدية الباهرة، فالله شهيد لرسالاته برسله: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(٢) ثم ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ كما تشهدون من دعوتي ودعايتي المتواصلة التوحيدية: ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ ثم يتحداهم باعترائهم وألتهم إياه بأي سوء ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ آلهة ومألوهين

(١) سورة يس، الآية: ١٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٩.